## وما سواها (350)

# سلـــــوك المديـــــــح !!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

أن الأغراض والتوجهات التي تسيدت وتطورت وتعممت ، خصوصا بعد تأسيس الدولة العربية وحتى الوقت الحاضر ، تتلخص بالمديح والهجاء والغزل والرثاء ، لكن الطاغي عليها هو المديح ، لأنه باب إرتزاق . .

الشعر بضاعة لها تجارها ، وأكبر الشعراء وأشهرهم وأكثرهم إبداعا وتأثيرا في حياتنا وعقولنا هو تجار الكلمة , وباعة الشعر في أسواق السلطة وحول كراسي السلاطين أو القوة أيا كان نوعها

المديح والهجاء طرفان متناقضان ، الأول له حوافز إيجابية وتنموية بمعنى زيادة تكرار الفعل وتوقده ، والآخر قد يكون ذو حوافز إيجابية ، لكنه يمتلك أو يوفر الكثير من الحوافز السلبية ، لكن فاعله يكرر فعله ويمعن فيه

أن الشاعر يميل أكثر إلى المديح خصوصا للسلطان , أو لمَن يمتلك القدرة على التحكم بمصير الآخرين ، وفرض رأيه عليهم والإمعان في قدرات الإستبداد

نجد عبر تأريخنا الكثير من

**"إذا المدح صار بلا نوالٍ ..... من الممدوح كان هو الهجاء"**

مَن يتصفح ديوان العرب وأعني به الشعر وكتبه وأعلامه وما جادوا به من الإبداع والعطاء الجزيل ، تبرز أمامه حقيقة ساطعة ، مفادها أن الأغراض والتوجهات التي تسيدت وتطورت وتعممت ، خصوصا بعد تأسيس الدولة العربية وحتى الوقت الحاضر ، تتلخص بالمديح والهجاء والغزل والرثاء ، لكن الطاغي عليها هو المديح ، لأنه باب إرتزاق .

فالشعر بضاعة لها تجارها ، وأكبر الشعراء وأشهرهم وأكثرهم إبداعا وتأثيرا في حياتنا وعقولنا هم تجار الكلمة , وباعة الشعر في أسواق السلطة وحول كراسي السلاطين أو القوة أيا كان نوعها.

ولست بصدد ذكر أسماء ولكن للنظر في ظاهرة معروفة واضحة لا تحتاج إلى أسانيد للإثبات ، وما يعنيني تأثيرها في بناء تفكيرنا وصياغة نمطية تفاعلنا مع بعضنا وأنفسنا والمحيط من حولنا ، وكيف نرى العالم بأسره بمنظارها , الذي قيّد رؤيتنا وأسرنا في أنفاق لا نهاية لها في فضاء الزمن الأرضي.

المديح والهجاء طرفان متناقضان ، الأول له حوافز إيجابية وتنموية بمعنى زيادة تكرار الفعل وتوقده ، والآخر قد يكون ذو حوافز إيجابية ، لكنه يمتلك أو يوفر الكثير من الحوافز السلبية ، لكن فاعله يكرر فعله ويمعن فيه .

وصاحب هذين السلوكين يرى أن فيهما شجاعة ورجولة وذكاء وحذاقة وبراعة ، وما إلى غير ذلك من المهارات التي تنفع صاحبها على حد وعيه وإدراكه.

غير أن الشاعر يميل أكثر إلى المديح خصوصا للسلطان , أو لمَن يمتلك القدرة على التحكم بمصير الآخرين ، وفرض رأيه عليهم والإمعان في قدرات الإستبداد ، وهكذا نجد عبر تأريخنا الكثير من الشعراء الذين ساهموا بتمجيد الطغيان وتسويغ أفعال السلطان وفي الزمن المعاصر .

فالشاعر يمدح فيكتب القصائد والأناشيد والأغاني , التي تمجد الجالس على كرسي الحكم مهما كان نوعه.

وفي دولنا تجلى السلوك بوضوح سافر ومنذ تأسيسها ، لأن المديح وسيلة الشاعر للحياة الأفضل ، فلا يملك وسيلة للعيش الكريم إلا شعره ، ولهذا يحوله لبضاعة يرتزق منها.

ولا يوجد شاعر في الزمن المعاصر أو الغابر قد عاش برفاهية وغنى , إن لم يكن من شعراء السلطان أو قريبا من الكراسي المتنفذة.

هذه خاصية من خواص الشعر العربي ، فأحمد شوقي كان قريبا من السلطة والبلاط , وكذلك الجواهري في الزمن الملكي وبعده ، ولهم قصائد عديدة في المديح.

ولا يمكن للشاعر أن يكون معروفا ومسموعا إن لم يكن قريبا من مركز الحكم ، ولهذا كان المتنبي برغم وجود آخرين من صنفه ، والأمثلة لا تنتهي.

وغاية القول أن الشعر العربي له تأثير في صناعة العقل العربي ولا يزال ، والعربي يقرأ الشعر أكثر من أنواع الإبداع الأخرى كالرواية والقصة والمقالة.

وبسبب الميل الفطري لقراءة الشعر فالشعراء العرب أثروا في تفاعل الإنسان مع كرسي الحكم ، وساهموا ببناء نمط التفكير الفاعل في عقولنا.

فقصائد المديح تضفي قوة وتمنح قدرة للجالس على الكرسي وتنزهه من الأخطاء , وتجعله الشخص المثالي الذي يحقق الأماني والأحلام ، وترفعه إلى مقامات لا يحق للآخرين التفكير بها أو الإقتراب منها ، وتعطيه حقوقا لا تجوز لغيره , وتساهم في إمعانه في الإجرام والطغيان والتوحش على أبناء شعبه.

ومعظم القصائد المادحة تؤكد مباشرة أو بغير مباشرة عقيدة الإستبداد والطغيان ، وتمعن بإسناد أفعال وتصرفات السلطان مهما كان نوعها وشؤونها ، فتمنحها معاني أخرى تنأى بها عن البهتان , وقد برع البحتري في ذلك.

ولا توجد قصائد تهجو السلطان والكرسي إلا فيما ندر ، وإن وجدت فأنها لا تلقى أذنا صاغية من قبل الناس ، ولهذا يكون قائلها مطاردا ويتم إتهامه بأبشع التهم لتبرير القضاء عليه ، وأبسط تلك المسميات الخيانة والتآمر , وفي الزمن البعيد كانت الزندقة التي قضت على العديد من أعلام الفكر , وحاملي رايات الثورة العقلية المنيرة.

وفي هذا النهج التضليلي تخريب للعقل وتدمير للموضوعية وقتل للحقيقة ، لأن المديح دجل وكذب سافر من أجل أن ينال المادح ما تجود به يد الممدوح ، فيكون الشاعر بائع بضاعة إكتسب مهارات متميزة في الإغراء والبيع , وأخذ المال من زبونه الذي هو صاحب القوة والنفوذ.

ويبدو أنها أحد الأسباب التي غرست في لاوعينا حرمة الكرسي والحاكم , وعدم التجرؤ على نقد ما يقوم به ، لأن النمط النفسي والفكري القائم في دنيانا أن نمدح ونعظم ونستسلم ونبجل وننزه , ونرتقي به إلى عرش الألوهية والمثالية , وننفي الخطأ عنه ونرفعه إلى آفاق السماء.

هذا نمط إقترابي يعيش فينا ويفترسنا ولا يمكننا الإنتصار عليه ، لأن السلطة في لا وعينا ووعينا تسجن وتعذب وتمنع الأرزاق , وتقتل وتعدم ولا يحق للناس أن يقولوا شيئا ، لأن ذلك يعد معارضة وخيانة وغيرها من المسميات , التي تبدعها آلة الكراسي وأبواق السلطة وحاشية السلطان ، فلا بد من تجميل الأفعال المشينة وتمجيدها وإعتبارها بطولة ، فتصدح بها قصائد الشعراء المقربين من موائد الحكام.

وكثيرا ما تتخذ السلطة من الدين عباءة أو وسيلة لتبرير أفعالها المشينة وقراراتها المهينة ، وتحسب أن ذلك تقربا إلى الله وتحررا من تأنيب الضمير أو الشعور بالخطأ وسوء التقدير ، فإن أخطأت قالت إنها إرادة الله , وإن أصابت قالت إنه نصر من الله , وفي هذا تلغي إرادة العقل الذي وهبه الله للإنسان , وعندما يشارك الشعراء في تبرير بهتانهم يرتكبون جرائم بحق أنفسهم وشعرهم وأبناء مجتمعهم.

وفي القرن العشرين لم نتحرر من آفة المديح وقيدها المرعب الدامي , المناهض لأية خطوة حضارية أو إنطلاقة معاصرة ذات قيمة ، وبسببه تمت المراوحة في ذات المكان بل والتدحرج إلى الوراء ، ولا زلنا ضحايا الأسر والاستعباد لآليات تفكير منحرفة لا تنفعنا بل تؤذينا كثيرا.

فلا يمكننا أن نتقدم إن لم نحرر عقولنا من هذه القيود ، وأن لا نمدح السلطان ونحسب سلوك المديح عيبا أخلاقيا وإنحرافا وطنيا مخزيا ، وأن نقف بالمرصاد لكل مسؤول ونحاسبه عن أي سلوك ، وأمام الأشهاد لكي يدرك أن الشعب عليه رقيب ، فلا يستطيع أن يستهتر بالقوة والكرسي , ويكون خادما لوطنه ولشعبه وليس عبدا للكرسي ولرغباته المنفلتة ، ومن حوله جوقة المداحين والمهللين والمطبلين لإنحرافاته الأخلاقية والفكرية والنفسية.

الشعراء الذين ساهموا بتمجيد الطغيان وتسويغ أفعال السلطان وفي الزمن المعاصر

لا يوجد شاعر في الزمن المعاصر أو الغابر قد عاش برفاهية وغنى , إن لم يكن من شعراء السلطان أو قريبا من الكراسي المتنفذة

أن الشعر العربي له تأثير في صناعة العقل العربي ولا يزال ، والعربي يقرأ الشعر أكثر من أنواع الإبداع الأخرى كالرواية والقصة والمقالة

قصائد المديح تضفي قوة وتمنح قدرة للجالس على الكرسي وتنزهه من الأخطاء , وتجعله الشخص المثالي الذي يحقق الأماني والأحلام ، وترفعه إلى مقامات لا يحق للآخرين التفكير بها أو الإقتراب منها ، وتعطيه حقوقا لا تجوز لغيره , وتساهم في إمعانه في الإجرام والطغيان والتوحش على أبناء شعبه

لا توجد قصائد تهجو السلطان والكرسي إلا فيما ندر ، وإن وجدت فأنها لا تلقى أذنا صاغية من قبل الناس ، ولهذا يكون قائلها مطاردا ويتم إتهامه بأبشع التهم لتبرير القضاء عليه

السلطة في لا وعينا ووعينا تسجن وتعذب وتمنع الأرزاق , وتقتل وتعدم ولا يحق للناس أن يقولوا شيئا ، لأن ذلك يعد معارضة وخيانة وغيرها من المسميات , التي تبدعها آلة الكراسي وأبواق السلطة وحاشية السلطان

كثيرا ما تتخذ السلطة من الدين

عباءة أو وسيلة لتبرير أفعالها المشينة وقراراتها المهينة ، وتحسب أن ذلك تقربا إلى الله وتحررا من تأنيب الضمير أو الشعور بالخطأ وسوء التقدير

في القرن العشرين لم نتحرر من آفة المديح وقيدها المرعب الدامي , المناهض لأية خطوة حضارية أو إنطلاقة معاصرة ذات قيمة ، وبسببه تمت المراوحة في ذات المكان بل والتدحرج إلى الوراء

فهل سنتحرر من عار المديح والعبودية للآخرين؟!

وفي الختام لنتأمل هذه الأبيات للشاعر إيليا أبو ماضي:

لا تسألوني المدح أو وصف الدمى
إني نبذت سفاسف الشعراء
باعوا لأجل المال ماء حيائهم
مدحا وبت أصون حيائي
لم يفهموا بالشعر إلا أنه
قد بات واسطة إلى الإثراء
شقيَ القريض بهم وما سعدوا به
لولاهم أضحى من السعداء

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa350-220523.pdf

*** *** ***


شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2023 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثالث عشر)

الشبكة تدخل عامها 23 من التأسيس و 20على الويب

23 عاما من الكدح... 20 عاما من المنجزات

( التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13 )
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2022

التحميل من الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2021.pdf

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2022 ( الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة )

التحميل من الموقع العلمي
http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf

اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2022

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميّز" / "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي "
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3